

أحدثت في الإسلام ما ليس فيه

بقلم الشيخ :
أحمد مصطفى
الموصلي

تصدير البحث :

لقد أحدثت الصوفية في دين الله ما ليس فيه . فقد شوهوا العقيدة الإسلامية بتأويلاتهم الباطلة . وقد جعلوا القرآن قسمين قسما باطنا وقسما ظاهرا واتهموا الرسول ﷺ بعدم تبليغ كل ما أمر به . بل هنالك أوراد أخرها الرسول ﷺ لمشايخ الصوفية . ونتيجة لهذا أحدثوا فرقة بين المسلمين . وإن المسلم ليعجب عندما يقرأ عن انتشار الطرق الصوفية في روسيا وتشجيع السلطات الروسية لها . ويلاحظ أن التشجيع الشيوعية لها ليس عن غفلة وإنما نتيجة لما وصلت إليه من إلحاد [illegible] ﷺ .

الموضوع :

أكتب هذا الموضوع وبين يدى استطلاع من قبل مجلة العربي التي تصدر في الكويت عن المسلمين السوفيات العدد ٢٥٤ ص ٧٩ .. لقد قرأت الموضوع وهو عن السماح من قبل الدولة الشيوعية التي تنكر وجود الله ، لثلاث فرق صوفية بممارسة أعمالها دون قيود من قبل الشيوعية ، هذ الفرق هي نقشبندية ، وشاذلية ، وقادرية ، ولو علمت روسيا أن هذه الفرق تحمل حقيقة الإسلام لما سمحت لها ولكنها لما عرفت بأخطائها وانحرافاتها وبعدها عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سمحت لها ، وهذا يدلنا أن هذه الفرق خطر على الإسلام .

□ إن التصوف هو عبارة عن مزج وخلط بين أفكار وفلسفات وخرافات وشعوذات الأمم الماضية... وإدخال تصورات النصارى واعتقادهم إلى أفكارهم

فنتج عن هذا المزج تشويه للعقيدة الإسلامية ، وتشويه لمعانى القرآن والفكر الإسلامي ، لأن هذه الطرق في كثير من أفكارها ليس لها سند ولا دليل من القرآن أو السنة .

□ إن التأويلات الباطنية قاعدة يرتكز عليها شيخ الطريقة ، فيشرّع لنفسه أحكاما غريبة ويُملي على مريديه أحكاما لم يأذن بها الله جل جلاله ولا رسوله الكريم ﷺ ، فيتحلل من أوامر الله بحجة أنه يوحى إليه وأن للإنسان هيكلان هيكل روحي وهيكل جسدي وبين هذين الهيكلين يضيع الشيخ ومريدوه وبدلا من أن يصبح شيخا جليلا يقتدى به يصبح خائنا وكاذبا دجالا .. ولقد رأيت بعيني وسمعت بأذني منهم بعد المناقشات التي كانت تحدث بيني وبين كثير منهم فأدركت أن القوم ضائعون خائبون ، تائهون هالكون ، ليس لهم حظ من القرآن الكريم ولا سنة رسوله ﷺ . وصدق الله العظيم في قوله في سورة البقرة بشأن القرآن « يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ويَهدِي بِهِ كَثِيراً وما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِين » .

□ لقد نصحتُ الذين تحدثت معهم وبينت لهم أن الفرقة الناجية هي التي تسير على هدى القرآن الكريم واتباع سنة رسوله ﷺ وتحارب البدع والمنكرات، وحديث رسول الله ﷺ الذي روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها واضح كل الوضوح في بطلانِ دعواهم حيث قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ أحدَثَ في دِيننا ما ليسَ منه فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه .. لقد نصحتهم بالتوبة والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولابد أن أذكر طرفاً من هذه المناقشات التي حدثت بيني وبينهم وأدركت أنهم يعيشون في الخيال والأوهام حيث استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله،ومن هذه ما يلي :

١ ــ بينما كنت يوما أقف إماما لنصلي إحدى الصلوات فإذا برجل في صف الجماعة ينظر أحيانا إلى يمينه وأحيانا إلى يساره وأحيانا يتطاول برأسه وكأنه يبحث عن شيء أو يفكر بشيء والهم ظاهر على فكره ووجهه ، فقلت له : يا هذا . ما لي أراك حزينا بماذا تفكر ؟ ألست واقفا في صلاتك أمام الله ؟ ولقد استغربت من الرجل أن قال لي : ألتفت يمينا وشمالا وأنظر إلى الأمام بدقة لأنني لا أصلي حتى أرى الكعبة بعينها . فقلت له : من الذي أمرك بهذا هل عليه دليل من القرآن أو السنة ؟ وما دامت الجهة التي نصلي إليها هي القبلة ، فول وجهك شطر السجد الحرام ، ورؤية الكعبة بعينها من مسافات بعيدة مستحيل رؤيتها . فقال : ليس

هنالك استحالة لأن شيخي باستطاعته أن يسوى الأرض وأشاهد الكعبة بعينها ، وأدركت أن الرجل قد استحوذ عليه الشيطان . فقلت له أنت صوفي استحوذ عليك الشيطان . هل عندك أمور أخرى خارقة للعادة باسم شيخك ؟ فقال نعم ، أستطيع أن أطير لمسافة ٦٠ م وأحيانا باستطاعتي الطيران إلى السماء السابعة . فقلت له كيف ذلك وهل باستطاعتك الطيران أمام أعيننا ؟ قال : لا ، لأنكم تعبدون الله على ظاهر الشريعة ونحن نعبد الله على حقيقة وباطن الشريعة وللإنسان هيكلان هيكل روحي وهيكل جسدي .. فالهيكل الروحي يختلف عن الهيكل الجسدي .. فأنا أستطيع أن أطير ولكن بهيكل الروح وأصوم ولكن بهيكل الروح وأصلي وأشاهد الكعبة بهيكل الروح وأجاهد بهيكل الروح .

ومضمون هذا الاعتقاد أن الشيخ ومريده يحق لهما أن يصوما بهيكل الروح أما هيكل الجسد فيجوز لهما أن يفطرا .. وقد نصحت الرجل وبينت له أن هذه التعاليم هي كفر وتؤدى بصاحبها إلى الهاوية .

وأنتقل إلى مريد آخر اجتمعت معه يوما وكان الحديث حول الدعاء وأن الدعاء مخ العبادة ولكن كيف يكون هذا الدعاء ؟ من أدعو ؟ بمن أتوسل ؟ كل هذه الأمور بدأنا نبحث بها وأنكرت عليه طريقته في الدعاء وهي التي تعلمها من شيخه ، وطريقة الدعاء عنده هي أن يتوسل المريد بالشيخ . والشيخ يتوسل إلى شيخه وآخر يتوسل بولي من الأولياء والولي بولي آخر حتى الرسول ﷺ ورسول الله ﷺ يتوسل بجبريل وجبريل يوصل الدعاء إلى الله عز وجل .

قلت له : لماذا هذا التعب الكثير والتوسل بعشرات الأولياء ؟ ولماذا لا أقول رأسا يارب يارب .. أليست هذه عقيدة السلف وما تلقوه من رسول الله ﷺ والقرآن الكريم صريح في هذه النقطة والدعاء لأن الدعاء عبادة فلا تجوز الوساطة في هذه العبادة « وإذا سَألكَ عبادِي عنِّي فَإنِّي قَريبٌ أجيبُ دَعوةَ الدَّاعِ إذا دعانِ » .

وخلال دراستي في الشام مررت يوماً بجانبِ مسجد فإذا بجمع في المسجد يرقصون ويقفزون مع نغمات آلات اللهو والطرب فقررت في نفسي أن أعود بعد صلاة العشاء لأجتمع مع شيخ الطريقة لأسألهم من أين لهم هذا التشريع ؟ وبعد صلاة العشاء حضرت إلى المسجد وسألت عن شيخ الطريقة وعرفت مكانه وذهبت للاجتماع معه وكان يستقبلني بهيكله الروحي ، فقلت له هذا الرقص وهذا الذكر على نغمات الآلات هل هو من الدين ؟ ومن الذي شرع لكم ذلك ؟ هل

وردت آية في ذلك ؟ هل ورد حديث في ذلك ؟ فقال الشيخ نعم ، هذه طريقة السلف الصالح حيث أن محمداً عليه السلام علَّم أصحابه ذلك . فقلت له : أين الحديث الذي يدل على ذلك ؟

فقال : لما حثَّ الرسول ﷺ الصحابة الكرام للتبرع يوم تجهيز جيش غزوة تبوك تنافس الناس على التبرعات فجاء عمر بنصف ما يملك وجاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه بكل ماله . فقال له الرسول ﷺ : ماذا أبقيت لأهلك .. قال الله ورسوله) .

إلى هنا انتهى الحديث ، ولكن شيخ الطريقة استمر يسرد زيادة في الحديث ، زيادة موضوعة ومختلَقة والزيادة هي أن الرسول ﷺ قال يا أبا بكر إن الله راضٍ عنك فهل أنت راض عنه ، فاستفزه السرور والوجد وقام يرقص أمام رسول الله ﷺ وقال كيف لا أرضى عن الله ؟ ! هكذا قال الشيخ .

قلت للشيخ : لقد جعلتم هذه الزيادة الموضوعة التي لا أصل لها دليلا على الرقص وبينت له أن هذا الحديث لم يثبت بطريق صحيح ولا بطريق ضعيف وهو لا يصلح قطعيا للاستدلال به .

وقصة الرقص مع الوجد في حالات الذكر الغير مفهوم بشكل همسات وهمهمات إنما هو ابتداع في دين الله وإحداث ما ليس فيه وألفاظ العبادة يجب أن تكون مفهومة والذكر نوع من العبادة يجب أن تكون ألفاظه معروفة .

وقد أجمع علماء الأمة على حرمة هذه الطريقة التي يتبعها المتصوفة .. يقول العز بن عبد السلام (وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا راعن أو متصنع كذاب فكيف يتأتى الدين المتزن مع هذه الأمور ممن طاش له وذهب قلبه وقد قال الرسول ﷺ « خير القرونِ قَرني ثمَّ الذين يلونُهم ثم الذين يلونَهم » ولم يكن واحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم يفعل شيئا من ذلك » عن كتاب قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١٨٦/٢ .

وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه « كف الدعاء » مثل هذا .

ولقد توسع الإمام القرطبي في تفسيره وحذر من هذه البدعة فالذي يرغب معرفة ما يقول القرطبي فليعد إلى تفسير قوله تعالى « الَّذين يذكرُون اللهَ قِياماً وقُعوداً وَعلى جُنوبِهم » .

وصدق من قال في الصوفية :

تُلِيَ الكتابُ فأطرقوا لا خيفة لكنَّهُ إطراقُ ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادنٍ فمتى رأيتَ عبادةً بملاهي

□ ومن الغريب أن الصوفية يُنقصون قدر النبوة ويتهمون الرسول ﷺ بأنه لم يبلغ جميع ما أمده الله به .. كما يقول زعيم الفرقة التيجانية قال في جواهر المعاني :

« إن هذا الورد ادخره رسول الله ﷺ لي ولم يُعَلّمه لأحد من أصحابه لِعِلْمِه ﷺ بتأخير وقته ص ٩١ » .

وهذا الكلام مخالف لقوله تعالى « يا أيُّها الرَّسُول بَلِّغ ما أنزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّك » .

وقال أيضا في جواهر المعاني : « إنَّ المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر وكل دعاء كبير أو صغير وتعدل تلاوة القرآن ستة آلاف مرة ص ٩٦ » .

ويكفي من هذا الكلام الدلالة على الإلحاد والكفر .. وهناك كثير وكثير من مثل هذه المنكرات التي يكفر معتنقها .

ونسأل الله السلامة والمغفرة ولا حول قوة إلا بالله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الكلام لك أو عليك

عن أم حبيبةَ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ كلامِ ابن آدم عليه لا لَهُ : إلا أمرٌ بمعروف أو نهى عن منكر ، أو ذكرُ الله عز وجل » .

(أخرجه الترمذى)